الجامعة المستنصرية المرحلة الثانية / الدراسة الصباحية

كلية الآداب المادة : علوم الحديث

قسم اللغة العربية الدكتور: إسماعيل عباس حسين

المحاضرة الثامنة :(**التأليف في علوم الحديث)**

الدور الأول: دور النشوء.

وذلك في عصر الصحابة الممتد إلى نهاية القرن الأول الهجري. وقد ساعد الصحابة على حفظ الحديث مجموعة من العوامل أهمها:

١ - صفاء أذهانهم وقوة قرائحهم، ذلك أن العرب أمة أمية لا تقرأ ولا تكتب. والأمي يعتمد على ذاكرته فتنمو وتقوى لتسعفه حين الحاجة.

٢ - قوة الدافع الديني، ذلك أن المسلمين أيقنوا أن لا سعادة لهم في الدنيا، ولا فوز في الآخرة، ولا سبيل للمجد والشرف، ولا إلى المكانة بين الأمم إلا بهذا الإسلام.

٣ - مكانة الحديث في الإسلام، فإنه كما عرفت ركن أساسي دخل في تكوين المسلمين الفكري وسلوكهم العلمي والخلقي.

٤ - أسلوب الحديث النبوي، فقد أوتي النبي صلى الله عليه وسلم فصاحة حتى كان أفصح البشر مما جعل كلامه ذا قربة أدبية يتذوقه الصحابة ويحفظونه.

٥- أن النبي صلى الله عليه وسلم عَلِم أن الصحابة سيخلفونه في حمل الأمانة وتبليغ الرسالة، فكان يتّبع الوسائل التربوية في إلقاء الحديث عليهم، ويسلك سبيل الحكمة كي يجعلهم أهلاً لتَحمل المسؤولية، فكان من شمائله في توجيه الكلام:

أ- أنه لم يكن يسرد الحديث سرداً متتابعاً، بل يتأنّى في إلقاء الكلام ليستقر في الأذهان.

ب- أنه لم يكن يطيل الأحاديث.

جـ- أنه صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يعيد الحديث لتعيه الصدور.

كتابة الحديث: وهي من أهم وسائل حفظ المعلومات ونقلها للأجيال، وقد كانت أحد العوامل في حفظ الحديث. فكتابة الحديث مرت بمرحلتين:

المرحلة الأولى: مرحلة جمع الحديث في صحف خاصة بمن يكتب دون أن تتداول بين الناس، وهذه بدأت بعد وفاته صلى الله عليه وسلم .

المرحلة الثانية: الكتابة التي تقصد مرجعاً يعتمد عليه ويتداولها الناس وهذه بدأت في القرن الثاني للهجرة.

وكانت في كل من هاتين المرحلتين مجرد جمع للأحاديث في الصحف غالباً لا يُراعى فيها تبويب أو ترتيب معين، ثم جاء دور التصنيف الذي اتخذت فيه الكتابة طابع التبويب والترتيب في منتصف القرن الثاني، وبلغ أوجه وذروته في القرن الثالث المعروف بعصر التدوين.

ظهور الوضع ووسائل مكافحته:

وقد بذل المسلمون كل جهدهم للمحافظة على الحديث، واجتهدوا في ذلك متبعين أقصى وأحكم ما يمكن من وسائل البحث والفحص الصحيحة. ومن ذلك أنهم:

أولا: عنوا بالبحث في إسناد الحديث وفحص أحوال الرواة بعد أن كانوا من قبل يرجحون توثيق من حدثهم.

ثانياً: حث علماء الصحابة الناس على الاحتياط في حمل الحديث عن الرواة ، وألاّ يأخذوا إلا حديث منْ يُوثق به ديناً وورعاً، وحفظاً وضبطاً، حتى شاعت في عرف الناس هذه القاعدة: إنما هذه الأحاديث دين، فانظروا عمن تأخذونها.

ثالثاً: الرحلة في طلب الحديث ، لأجل سماعه من الراوي الأصل والتثبت منه. وقد وافتنا أخبار رحلاتهم بالعجيب المستغرب، إذ بلغ بهم الأمر أن يرحل الرجل في الحديث الواحد مسافة شاسعة، على الرغم مما كان في مواصلاتهم من المشقات والتعب.

رابعاً: ومن طرق معرفة الوضع والضعف في الحديث عرض حديث الراوي على راوية غيره من أهل الحفظ والإتقان.

الدور الثاني: دور التكامل .

اكتملت علوم الحديث في هذا الدور، إذ وجدت كلها واحداً واحداً، وخضعت لقواعد يتداولها العلماء وذلك من مطلع القرن الثاني إلى أوائل الثالث الهجري. فقد جدّت في هذا العصر أمور أهمها:

١ - ضعف ملكة الحفظ عند الناس.

٢ - طالت الأسانيد وتشعبت بسبب بُعد العهد وكثرة حملة الحديث، حيث حمل الحديث عن كل صحابي جماعات كثيرة تفرقوا في البلاد، فكثرت الأحاديث ودخلتها العلل الظاهرة والخفية .

٣ - كثرت الفرق المنحرفة عن جادة الصواب والمنهج الذي كان عليه الصحابة والتابعون.

الدور الثالث: دور التدوين لعلوم الحديث المختلفة

وذلك من القرن الثالث الهجري إلى منتصف الرابع. والقرن الثالث هو العصر الذهبي للحديث والسنة ، فقد دونت فيه الأحاديث والسنن وعلومها تدوينا كاملا.

في مطلع هذا الدور ارتأى العلماء إفراد حديث الرسول صلى الله عليه وسلم بالتصنيف، ابتكروا لذلك (المسانيد) جمعوا فيها الحديث النبوي مرتبا بحسب أسماء الصحابة، ثم جاء البخاري فرأى إفراد الحديث الصحيح، ورتبه على الأبواب الفقهية لتسهيل الوصول إليه. وجاء بقية الستة

وهم - ما عدا النسائي - من تلامذته، فوضعوا كتبهم على الأبواب الفقهية، ولم يشترطوا صحة الحديث.

وهكذا كان لمدرسة الإمام البخاري الفضل العظيم على علوم الحديث بما صنفت في رواية الحديث وفي علومه.

ومن أقوال الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم قوله: " يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة "

" لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض "

" إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء "

" من يُرد الله به خيراً يفقه بالدين "

" من حفظ من أمتي أربعين حديثاً مما يحتاجون إليه من أمر دينهم بعثه الله يوم القيامة فقيهاً عالماً "